قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

(الأفعال الكلاميّة في آيات النداء الإلهيّ للنّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وسلّم)

Speech Acts in the Verses of Divine Address to Prophet Muhammad (PBUH)

م.م. سلمى عبد القادر عبد الله/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات*

م.م. أنوار خليف رجه / جامعة الأنبار – كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية*

Abstract

This study examines speech acts in the divine vocative verses addressed to Prophet Muhammad (PBUH) within the framework of modern pragmatic approaches, aiming to reveal the intended meanings carried by the Qur'anic discourse when addressing the Prophet. The research analyzes the Qur'anic verses in which the divine call occurs, considering them as speech acts that go beyond their direct linguistic meaning to perform various communicative and performative functions such as guidance, instruction, warning, legislation, and honor. The study focuses on identifying the nature of the speech acts manifested in these Qur'anic calls by analyzing the linguistic and semantic context of the verses in which Prophet Muhammad (PBUH) is addressed with different attributes, whether the discourse refers to other aspects related to his noble person or addresses him in his prophetic and mesenterial capacity. The analysis seeks to highlight the illocutionary force of these calls and how they contribute to constructing a Qur'anic discourse that combines guidance, legislation, and direction, while also revealing the rhetorical and pragmatic dimensions of the vocative style in the Holy Qur'an. The study concludes that the divine calls addressed to the Prophet (PBUH) represent a distinctive pattern within the Qur'anic discourse, encompassing multiple speech acts that serve educational, legislative, and moral functions. This reflects the richness of the pragmatic structure of the Qur'anic text and the depth of its semantic implications.

Keywords: Speech Acts – Divine Vocative – Prophet Muhammad (PBUH) – Pragmatics – Qur'anic Discourse

* Corresponding author at: **Instructor. Asst. Salma Abdul Qadir Abdullah**
University of Baghdad - College of Education for Women
Instructor. Asst. Anwar Khalif Rajah
University of Anbar – College of Education for Women
salma.a@coeduw.ubghdad.edu.iq
anwar.kh.r@uoanbar.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: ٢٠٢٦/١/١٨

المراجعة: ٢٠٢٦/١/٢٥

القبول: ٢٠٢٦/٢/٨

الكلمات المفتاحية:

الأفعال الكلامية – النداء الإلهي – النبي محمد (صلّى الله عليه وسلم) – التداولية – الخطاب القرآني.

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في ضوء المقاربة التداولية الحديثة، للكشف عن الدلالات المقصدية التي يحملها الخطاب القرآني عند توجيه النداء إلى النبي الكريم. ويقوم البحث على تحليل الآيات التي ورد فيها النداء الإلهي، بوصفها أفعالاً كلامية تتجاوز معناها اللغوي المباشر إلى وظائف إنجازية وتواصلية متعددة، مثل التوجيه، والتعليم، والتنبيه، والتشريع، والتكريم. ويركّز البحث على بيان طبيعة الأفعال الكلامية التي تتجلى في هذه النداءات القرآنية، من خلال تحليل السياق اللغوي والدلالي للآيات التي خوطب فيها النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بصفات مختلفة، سواء أكان الخطاب موجهاً إليه بصفات أخرى تتصل بشخصه الكريم، أم بصفته النبوية والرسالة. ويسعى التحليل إلى إبراز القوة الإنجازية لهذه النداءات، وكيف أسهمت في بناء خطاب قرآني يجمع بين الإرشاد والتشريع والتوجيه، ويكشف في الوقت نفسه عن البعد البلاغي والتداولي لأسلوب النداء في القرآن الكريم. وقد أظهرت الدراسة أن النداءات الإلهية للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) تمثل نمطاً مميزاً من أنماط الخطاب القرآني، إذ تتضمن أفعالاً كلامية ذات مقاصد متعددة، تؤدي وظائف تعليمية وتشريعية وتربوية، مما يعكس ثراء البنية التداولية للنص القرآني وعمق دلالاته.

١.المقدمة

يمتاز الخطاب القرآني بثرائه الدلالي وعمقه التداولي، إذ تتجلّى فيه أنماط متعددة من الأساليب اللغوية التي تؤدي وظائف تواصلية متنوعة، ومن أبرز هذه الأساليب أسلوب النداء الذي يرد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، حاملاً مقاصد دلالية وتوجيهية تتجاوز المعنى الظاهر إلى أبعاد بلاغية وتداولية أعمق. ويُعدّ النداء الإلهي الموجّه إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) من أبرز صور الخطاب القرآني، لما يتضمنه من توجيه وتشريع وتعليم وتكريم، وهو ما يجعله مجالاً خصباً للدراسة في ضوء نظرية الأفعال الكلامية التي تُعنى بالكشف عن المقاصد الإنجازية الكامنة في الخطاب اللغوي. وقد أسهمت الدراسات التداولية الحديثة، ولا سيما نظرية أفعال الكلام التي أسس لها أوستن وطوّرها سيرل، في توسيع آفاق تحليل النصوص اللغوية من خلال التركيز على العلاقة بين القول والفعل، وبيان ما ينجزه المتكلم من أفعال عند التلفظ بالكلام. ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى دراسة الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي الموجّه إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، للكشف عن طبيعة هذه الأفعال ووظائفها الدلالية والتواصلية في الخطاب القرآني.

١.١.أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة جوانب، من أبرزها:

إبراز البعد التداولي في الخطاب القرآني من خلال تحليل آيات النداء الإلهي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية.

الكشف عن الوظائف الدلالية والإنجازية التي تؤديها النداءات الإلهية الموجّهة إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم). إغناء الدراسات القرآنية واللغوية بقراءة تحليلية تجمع بين التراث البلاغي العربي والدراسات اللسانية الحديثة.

١.٢.أهداف الدراسة

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها:

بيان مفهوم الأفعال الكلامية وأقسامها في ضوء الدراسات التداولية الحديثة.

تحليل آيات النداء الإلهي الموجّهة إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) للكشف عن أبعادها التداولية.

تحديد الوظائف الدلالية والإنجازية التي تؤديها هذه النداءات في السياق القرآني.

١.٣.مشكلة الدراسة

تنطلق مشكلة الدراسة من التساؤل الرئيس الآتي: ما طبيعة الأفعال الكلامية التي تتضمنها آيات النداء الإلهي الموجّهة إلى النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، وما المقاصد التداولية التي تؤديها في الخطاب القرآني؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة، منها:

ما مفهوم الأفعال الكلامية وأقسامها في الدراسات اللسانية الحديثة؟

ما أبرز الأفعال الكلامية التي تتجلى في آيات النداء الإلهي؟

كيف يسهم السياق القرآني في تحديد القوة الإنجازية لهذه النداءات؟

١.٤.منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي التحليلي، من خلال تحليل النصوص القرآنية التي ورد فيها النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، للكشف عن طبيعة الأفعال الكلامية التي تتضمنها هذه الآيات، وبيان مقاصدها الدلالية في ضوء السياق اللغوي والتفسيري.

١.٥.تقسيم الدراسة

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين رئيسين بعد هذه المقدمة، وهما:

المبحث الأول: مفهوم الأفعال الكلامية وأقسامها.

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، ويشمل:

الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي بصفات أخرى.

الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي بصفة النبوة.

ثم خُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

٢.المبحث الأول: مفهوم أفعال الكلام، وأقسامها

إنَ التداولية هي فرع من فروع علم اللغة الذي يدرس اللغة باستعمالها في الواقع، ولا تقتصر على القواعد فقط، بل ترتكز على معنى السياق الذي يقصده المتكلم، وكذلك العلاقة بين الكلام والموقف الذي يُقال فيه. فالتداولية تساعد على فهم المقاصد والدلالات التي وراء الألفاظ، مثل الاستهام والأمر والنهي حسب السياق والمتكلم والمخاطب (ينظر: التداولية بين اللسانيات والفلسفة حمادي (٢٠٠٨،٢٥).

وتُعدّ نظرية أفعال الكلام من أهم النظريات التي أسهمت في تأسيس الدرس التداولي المعاصر، إذ نقلت دراسة اللغة من مستوى البنية إلى مستوى الاستعمال، ومن تحليل الجملة إلى تحليل الخطاب في سياقه التواصلي، فاللغة – وفق هذا التصور – ليست أداة لنقل المعاني فحسب، بل وسيلة لإنجاز الأفعال داخل الواقع الاجتماعي (ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: فضل١٩٩٢، ٨٩) وقد بيّن صلاح فضل أن التحول التداولي جاء نتيجة إدراك أن المعنى لا يُستكمل إلا باستحضار المقام وقصد المتكلم وعلاقة الخطاب بالمتلقي (ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: فضل١٩٩٢، ٨٩). ويرى مسعود صحراوي **أن** نظرية أفعال الكلام تمثل جوهر التداولية؛ لأنها تنظر إلى القول بوصفه فعلًا إنجازيًا يحدث أثرًا في العالم، وليس مجرد تركيب نحوي دلالي (ينظر: التداولية عند العلماء العرب، صحراوي 2005: ١١٧.). ويُعرّف فعل الكلام بأنه كل ملفوظ ينجزه المتكلم في سياق معين بقصد التأثير في المخاطب أو تغيير حال من الأحوال .وعليه

فيقسم القول إلى (ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،نحلة،٢٠٠٢، ٥٤–٥٥):

فعل التلفظ (المستوى اللغوي) ١–

٢– الفعل الإنجازي (القوة المقصودة من القول)

٣– الغرض التأثيري (الأثر الناتج عن القول)

ومن أهم مفاهيم نظرية أفعال الكلام مفهوم القوة الإنجازية وهي التي تحدد نوع الفعل الذي ينجز بالقول، كأن يكون أمرًا أو نهيًا أو وعدًا أو تهديدًا وإن القوة الإنجازية لا تتحدد دائما بالبنية النحوية، بل بالسياق التداولي بما يحدد المقصد الحقيقي للمتكلم (ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، نعمان،٢٠٠٨: ١٠٢).

فقد تأتي الجملة الخبرية بمعنى الأمر، أو يأتي الاستفهام بمعنى التوبيخ، وهو ما يدل على أن التحليل التداولي يتجاوز حدود التركيب إلى تحليل المقام. وتصنف الأفعال إلى أنواع متعددة وفق وظائفها الإنجازية أبرزها (ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، العبد ٦٧– ٦٩):

١- **الأفعال الإخبارية (التقريرية):** وتختص بنقل المتكلم لأحواله وأخباره، فهي" أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة وجوده في العالم "العقل واللغة والمجتمع، جون،٢٠٠٩: ٢١٧)، وبهذا فهي التي يقصد بها المتكلم نقل الخبر أو وصف حالة من الواقع، كالخبر، والتقرير، والتفسير أو الوصف .

٢- **الأفعال التوجيهية (الأمر، النهي، الطلب):** تندرج الأفعال التوجيهية ضمن الأفعال الكلامية التي يتجه قصدها التداولي إلى إحداث تغيير في سلوك المخاطب، لا إلى مجرد تقديم مضمون معرفي، فالمتكلم في هذا السياق لا يتموضع بوصفه ناقلًا للمعلومة، بل فاعلًا يسعى إلى استثارة استجابة علمية تتجاوز حدود التلفظ، و القيمة الإنجازية لهذا النمط لا تقاس بصدق القضية، بل بمدى تحقق الفعل المطلوب في الواقع .

وقد ذهب عبد الهادي بن الشهري إلى أن الفعل التوجيهي يفترض بنية علاقة قائمة على قدر من التأثير أو السلطة الرمزية، بحيث يكون للمتكلم موقع يتيح له إصدار التوجيه، وللمخاطب موقع يتيح له الامتثال أو الرفض، وبذلك فإن الأمر والنهي لا يفهمان باعتبارهما صيغتين صرفيتين فحسب، وإنما باعتبارهما ممارستين اجتماعيتين تتحددان داخل مقام التداولي مخصص (استراتيجيات الخطاب، الشهري،٢٠٠٤، ٦٨) وفي السياق نفسه يلفت مسعود الصحراوي إلى أن الطابع التوجيهي لا يتقيد بالشكل النحوي الظاهر؛ إذ قد يتحقق من خلال صيغة الأمر الصريحة، وقد يتوارى داخل بنية خبرية أو استفهامية يستدل منها على قصد الطلب اعتمادًا على السياق والعرف التداولي (التداولية عند العلماء العرب، صحراوي،٢٠٠٥، ص١٣٤)

وهذا يؤكد أن القوة الإنجازية لا تستنبط من البنية الصرفية وحدها، بل من التفاعل بين القول والمقام. أما النهي، فعلى الرغم من اختلاف اتجاهه عن الأمر، فإنه يشترك معه في كونه يسعى إلى إعادة توجيه السلوك؛ غير أن غايته تتمثل في المنع بدل الإلزام بالفعل ومن ثم فإن الفارق بينهما ليس في الطبيعة التداولية بل في جهة التأثير، وقد أشار لهذا محمود أحمد نحلة إلى أن تحقق الفعل التوجيهي، مرهون بتوافر شروط الملاءمة، ومن أهمها اعتراف المخاطب – صراحة أو ضمناً – بحق المتكلم في إصدار التوجيه، فضلا عن إمكانية تنفيذ الفعل المطلوب (نحلة،٢٠٠٢، ص٦٠)، وبغياب هذه الشروط يفقد القول فاعليته الإنجازية، وإن كان سليمًا من الناحية اللغوية وعلى هذا الأساس تتصدر الأفعال التوجيهية الخطابات ذات الطابع التشريعي أو الديني أو المؤسسي؛ لأنها تتصل بتمرين السلوك الإنساني وتوجيهه ضمن إطار معايير محددة .

٣- الأفعال الالتزامية (الوعد، التعهد): تختلف الأفعال الالتزامية عن غيرها من أنماط الأفعال الكرامية في أن حركتها الإنجازية لا تتجه إلى تغيير سلوك المخاطب، مباشرة كما هو الحال في التوجيه، ولا تقتصر على التعبير عن حالة وجدانية، كما في الأفعال التعبيرية، بل تتجه أساساً إلى إنشاء التزام ذاتي يقيد المتكلم نفسه بفعل مستقبلي، فالقول هنا لا يصف ما سيكون وإنما ينشئ التزاماً بوقوعه، وقد أشار نعمان بوقرة بقراءة إلى أن الأفعال الالتزامية تنتج أثرها عن طريق بناء أفق انتظار لدى المتلقي؛ ليتشكل المعنى هنا عبر ما يفترض أن يتحقق لاحقاً لا عبر مضمون آني؛ ويوضح عبد الهادي بن ظافر الشهري أن الأفعال الالتزامية تختلف عن الفعل التقريري؛ لأنه لا يسعى إلى تمثيل الواقع، بل إلى إنشاء التزام يؤثر في البيئة الاجتماعية للعلاقة بين المتكلم والمخاطب، وأن الأفعال الالتزامية لا تنتج إلا إذا توافرت شروط ملائمة مخصوصة، منها قدرة المتكلم على تنفيذ ما يلتزم به، واعتقاد المخاطب بجدية هذا الالتزام، ووجود سياق يسمح بإنتاج هذا النوع من الأفعال(ينظر: التداولية عند العلماء العرب:، صحروي، ٢٠٠٥،١١٧-١١٩واستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، الشهري،٢٠٠٤، ٦٨-٧٠ والتداولية اليوم علم جديد في التواصل، نعمان، ٢٠٠٨، ١٠٢-١٠٤)

4- الأفعال التعبيرية (الشكر، الاعتذار، ونحوها): تتميز بأنها لا تغير الواقع الخارجي مباشرة، وإنما تتجه إلى الكشف عن موقف نفسي أو أنفعالي يتخذه المتكلم، فالقيمة الإنجازية في هذا النمط لا تحدد بإنجاز، فعل بل بإعادة تنظيم العلاقات الشعورية بين أطراف الخطاب، فالشكر مثلًا لا يضيف فعلًا جديدًا إلى سلسلة الأفعال، بل يعترف بفعل سابق، ويضيف عليه قيمة إيجابية، إذ أن الاعتذار لا يمحو الحدث، لكن يسعى إلى ترميم أثره داخل بنية العلاقة بين المخاطب

والمتكلم، وعلى هذا فإن الأفعال التعبيرية تفهم في اطارها التفاعلي لا في اطارها التقريري، ويذهب مسعود صحراوي إلى أن نجاح الفعل التعبيري مشروط بقبول المخاطب للصدق والحالة النفسية المعلنة، فالتنوع يعتمد على المصداقية الاجتماعية فالاعتذار مثلا لا يقنع المتلقي بصدقه إذا فقد قوته الإنجازية وإن استوفى شروطه اللغوية (ينظر: التداولية عند العلماء العرب، صحراوي، ١٢١،٢٠٠٥)

٥- **الأفعال الإعلانية:** هو الفعل الذي لا يفهم بوصفه خبرًا عن حدث، بل بوصفه إنشاء لذلك الحدث، نحو إعلان حكم أو اصدار قرار رسمي، ونجاحه مشروط بوجود سلطة مخولة للمتكلم، وإجراء اجتماعي معترف به يضفي على القول أثره القانوني، فمتى ما غابت السلطة يفرغ الفعل الإعلاني من قوته (ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،نحلة،٥٨،٢٠٠٢)

الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة

الأفعال الكلامية المباشرة هي التي تتطابق بنيتها اللغوية الظاهرة مع القوة الإنجازية المقصودة، إذا جاء الفعل بصيغة الأمر وكان المقصود طلب فعل الفعل، فإن العلاقة بين الشكل والقصد تكون علاقة مباشرة لا تحتاج إلى تأويل آخر. أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فتعتمد على الانزياح بين البنية الظاهرة والقوة المقصودة، فيستعمل تركيب لغوي معين لإنجاز فعل يختلف عن معناه الحرفي فقد يأتي بصيغة الخبر بينما يقصد منه التوبيخ أو التحذير (ينظر: التداولية عند العلماء العرب، صحراوي، ٢٠٠٥، ١٣٤).

٣.المبحث الثاني:

١- الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلم)(بصفات آخرى)

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ المدثر [١-٧]

وللمسلمين في رسول الله قدوة حسنة في الحرص على قيام الليل تعبداً وطاعة لله، وهنا يكمن الغرض التأثري لهذا الفعل التوجيهي في أن يحرص المسلّم على قيام الليل طائعاً لله في أمره مقتدياً برسوله صلّى الله عليه وسلّم في اتباعه، وأن يحرص على ذكر الله بصلاة وتسبيح وقراءة قرآن بتمعن وتدبر. انقص منه قليلاً أو زد في هذا التخيير إظهار لما اشتملت عليه الشريعة (ينظر: تفسير الوسيط (الطنطاوي،١٩٩٧: ١٥٣/١٥) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ المدثر [١] وقيل فيه أيضّا " يا أيها الثائر للحقيقة المحمدية بدثار الصورة الآدمية أو يا أيها الغائب عن أنظار الخليقة فلا يعرفك سوى الله تعالى على الحقيقة (تفسيرروح المعاني (الآلوسي،١٩٩٥: ١٢٩/١٥) وفيه ايضّا نداء الملاطفة والمؤانسة والترفق به (صلّى الله عليه وسلّم) بعدم الحزن؛ بسبب إيذاء قريش له بوصفهم إياه بالكاهن والمجنون والساحر فتزمل

في ثيابه وتدثر. وفي قول الآخر أن نزول هذه الآيتين فيه (صلّى الله عليه وسلّم)حين رأى الملك جالسا على كرسي بين السماء والأرض فاشتد رعبه (صلّى الله عليه وسلم) ورجع إلى السيدة خديجة رضي الله عنها فقال دثريني . فجاء هذا النداء رحمة به وايناسًا له (صلّى الله عليه وسلّم) ليشتد عزمه ويكون ذلك النداء دافعا نفسيا يقوى به على تحمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة ومواجهة قريش . ويقع بعد هذا النداء مجموعة من الأفعال التوجيهية وهي (قم، انذر، طهر، اهجر) ففعل القيام الغرض الإنجازي منه: هو إنذار قومه من عذاب الله الذي سيقع عليهم في حال بقائهم على الكفر، وقد ناسب فعل الإنذار هنا حال قريش فعنادهم وكفرهم وكبرهم؛ يستوجب الشدة والتخويف والتحذير لعلهم يرجعوا عن غيهم وضلالهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾المدثر [٣] وربك فكبر: هنا الفعل التوجيهي الثاني الغرض الأنجازي منه: هو تخصيص الله تعالى وحده بالتعظيم والتبجيل وذلك المعنى متحقق بقرينة الاسم المنصوب على التعظيم (ربك) المقدم على عامله

َالَ تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ المدثر [٤] الفعل التوجيهي الثالث وقد تعدد المعنى المراد منه فقد يكون المراد منه تطهير الثياب من النجاسات فيكون المعنى على الحقيقة وقد يكون المراد منه النفس والمقصود بالتطهير هنا: هو الابتعاد عن كل ما يتنافى ومكارم الأخلاق والخصال الحميدة، " وسواء كان المراد بالثياب هنا معنى الحقيقي أو المعنى المجازي المكنى به عن النفس والذات، فإن الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) كان مواظبًا على الطهارة الحسية والمعنوية في كل شؤونه وأحواله فهو بالنسبة لثيابه كان يطهرها من كل دنس وقذر، وبالنسبة لذاته ونفسه كان أبعد الناس عن كل سوء ومنكر من قول أو فعل" (تفسير الوسيط (الطنطاوي،١٩٩٧: ١٥/١٧٥)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ المدثر [٦] تكمن القوة الإنجازية في هذا الفعل التوجيهي في النهي عن اتباع العطية المنَ والكبر بقرينة حرف النهي (ينظر: تفسيرمدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي،١٩٩٨، ٤/٢٣٩) وذلك بأنه يطلب زيادة على ما أعطى ويجب أن يكون العطاء خالصا لوجهه تعالى . الرجز هو العذاب والمراد بهذا الفعل التوجيهي هو ترك موجبات العذاب وهو المعاصي والشرك (ينظر: الأساس في التفسير(سعيد حوّى، ١٩٩٣: ١١/٦٢٣٠)

هذه الأفعال التوجيهية هي قواعد وأصول ثوابت على المسلّم أن يضعها نصب عينيه وأن يتخذها مبدءًا يسير عليه في حياته لينال رضا الله تعالى وعلى وجه الخصوص (الداعية) فمن أراد أن يدعو الناس إلى الطاعات عليه أولاً أن يبدأ بنفسه فيهذبها بهجر المعاصي والنواهي واتباع الأوامر

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ المزمل [١-٤]

نداء توجيه وإرشاد وملاطفة قصد الإبلاغ بأمر فيه صلاح .

المزمّل هو في هذا النص القرآني نادى الله تعالى بنبيه (صلّى الله عليه وسلّم) بالوصف وهنا يتحقق معنى الملاطفة في قوله (يا أيها المزمل) وأصل اللفظ المتزمل على إدغام التاء في الزاي لقربها منها ومعناها التلفف بالثياب(ينظر: العين (الخليل،١٩٨٨: ٣٧١/٧) ومنه "تزمّل فلان إذ تلفف بثيابه وكل شيء لُفَّ فقد زمّل"(تهذيب اللغة(الأزهري،١٣:٢٠٠١/١٥٢) وفي هذا الوصف تعددت التأويلات (ينظر: تفسير الطبري:٢٣/ ٦٧٦وتفسير الجامع لأحكلم القرآن (القرطبي،١٩:١٩٦٤/٣٢وتفسير مفاتيح الغيب(الرازي،٣٠:١٩٩٩/٦٨١و الهداية إلى بلوغ النهاية(القيسي،١٢:٢٠٠٨/٧٧٨٤)

١_ قصد به المتزمّل في ثيابه معنى حقيقي

٢- قصد به متزمّل النبوة والملتزم بالرسالة (صلّى الله عليه وسلّم) وفيه أيضا معنى أن يقدم بتبليغ الرسالة وتحمل آي النبوة في كل وقت من الليل إلا قليلَا منه ليهجع(ينظر: التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٢٩/٢٥٧.)

٣_ قصد بهذا الوصف ومعناه النداء للصلاة بقرينة فعل الأمر (قم) الذي تلا وصف المزمل.

وقد نادى الله تعالى نبيه(صلّى الله عليه وسلم) بوصف المزمل على سبيل الملاطفة والمؤانسة وذلك حين ناده بصفة التزمل ولم يقصد به المعاتبة وذلك معروف عند العرب ومن عاداتهم النداء بالوصف أي نداء المخاطب باسم المشتق من صفته التي هو عليها . وفيه أيضا معنى التنبيه على ترك النوم وحث على قيام الليل للعبادة وذكر الله ()ينظر: تفسير الجامع لأحكلم القرآن (القرطبي١٩٦٤،١٩:٣٣/،و الكشاف عن حقائق التنزيل(الزمخشري، ١٩٨٧ ٦٣٦/٤ "فقام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلًا حتى تورمت قدماه" (روح المعاني) الآلوسي، ١٩٩٥: ٤٦٥/٨ وينظر: التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤::٢٩/٢٥٨)

والنداء بالوصف لا بالاسم الصريح يشعر بعظم ما نودي له ويتحقق ذلك فيما أمر به (صلّى الله عليه وسلّم)في هذا النداء فقد أمر الله تعالى بالقيام إلى الصلاة والدوام عليها أغلب وقت الليل ويتحقق في معنى الفعل (قم) الهمة والعزيمة والحرص على ذكر الله والتعبد (ينظر: التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٢٩/٢٩٤). (قم الليل) الليل هنا منصوب على الظرفية على التشبيه بالمفعول به على التوسع في الكلام وقد أشار إلى هذا المفهوم أبو علي الفارسي في كتابه الأغفال (ينظر: كتاب الأغفال(الفارسي،١٩٩٢ ٢/ ٦٧).

ومفاد ذلك أن الله تعالى أمر نبيه (صلّى الله عليه وسلّم) أن يقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل مع ترتيل القرآن بتؤدة وتدبر وتمهل(ينظر: تفسير الخازن: ٤/٣٥٥) وهذا هو الغرض الإنجازي من فعل الأمر في قوله تعالى(قم الليل) ويكمن الغرض التأثيري لهذا الفعل التوجيهي في الحرص على قيام الليل وشحذ الهمة والمداومة على ذكر الله . وقد خصص هذا (وقت الليل) وقت القيام بالعبادة لأن هذا الوقت أكثر ما يكون فيه العقل صفاء وهدوء والقلب خشوعا بعيدا عن مشاغل الدنيا فيخلص العبد عمله وعبادته لله وهو وقت سكون الأصوات(ينظر: التفسير الحديث(دروزة، ١٩٦١ ٤٠٦،و التفسير الوسيط(الطنطاوي،١٩٩٧ ١٥/ ١٥٣) ونداء النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في مستهل السورة مع ما فيه من المؤانسة والملاطفة فيه أعلاء همة وعزم تزيده نشاطا وتعطيه مزيدا من القوة لتبليغ ما أنزل عليه(ينظر: التفسير الوسيط (الطنطاوي،١٩٩٧: ١٥/١٥٢) وللمسلمين في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قدوة حسنة في الحرص على قيام الليل تعبدًا وطاعة لله وهنا يكمن الغرض التأثيري لهذا الفعل التوجيهي في أن يحرص المسلّم على قيام الليل طائعا الله في امره مقتديًا برسول الله (صلّى الله عليه وسلم) في اتباعه وأن يحرص على ذكر الله بصلاة وتسبيح وقراءة القرآن بتمعن وتدبر.

٢-الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلم)(بصفة النبوة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴿٧٣﴾﴾ التوبة [٧٣]

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴿٩﴾﴾التحريم [٩]

وابتدأت الآية بالنداء الرباني بصفة النبوة وقد خرج هذا النداء إلى معنى الحدث، وقد تضمنت فعلا توجيهيا بصيغة الأمر الغرض الإنجازي منه هو مجاهدة الكفار والمنافقين ابتدأت الآية بنداء سيدنا محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بصيغة النبوة تكريما لجاهه وتشريفا لمقامه وتندرج هذه الآية تحت خطاب عين أريد به الكل، بيد أن تخصيص هذا الفعل بالنبي (صلّى الله عليه وسلّم)"لأنه القائد الأعلى ولأنه الهادي والمرشد والموجه"زهرة التفاسير(أبو زهرة،١٩٨٧م،٧/ ٣٣٧٥) ومما تجدر الإشارة إليه أن الله تعالى وجه نبيه (صلّى الله عليه وسلم) والمسلمين بوجوب التعامل باللين في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ آل عمران [١٥٩] وفي آية قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾الفتح [٢٩] وفي هذه الآية أمره بوجوب القسوة والشدة في قوله ﴿وَٱغْلُظْ

عَلَيۡهِمۡۚ﴾ التوبة [٧٣] ففي ذلك تأكيد على وجوب تحقيق الموازنة بين اللين والرحمة والقسوة والغلظة في المعاملة أي: استعمال كل شيء في موضعه فاللين في الموضع الذي يستحقه وشدة في الموضع الذي يستحقها فلا إفراط ولا تفريط (ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان(النيسابوري: ١٩٩٦، ٢، /٢٩٣) فلا يؤمر بها إلا حين يعلم أن الأمر وصل إلى تجاوز حد من حدود الله . استنبط من هذا التوجيهات أن المؤمن عليه أن يتخذ الوسطية منهجاً في تعاملاته فلا يقسو إلا حين يستوجب الأمر ذلك غيرة على حرمات الله وحدوده مخلصاً النية لله وحده سبحانه وتعالى وهذا النص القرآني يقتضي المعاملة بالمثل فمن أظهر العداء هو مستحق القتال والشدة بالمعاملة وهنا يكمل الغرض التأثيري في الفعل الإنجازي (جاهد) وختمت الآية بذكر جزائهم في الآخرة نكالا بهم فقد تضمنت الآية فعلا وعديا وهو بيان سوء عاقبتهم جزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من إيذاء المسلمين وتجاوزهم حدود الله تعالى لأن مصيرهم جهنم وبأس المصير مصيرهم وهذا جزاء كل من تعدى حدود الله وآذى مسلمًا في نفسه ودينه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ التحريم [١]

اختلف في معنى النداء فقيل هو نداء معاتبة(ينظر: تفسير عبد الرزاق(الصنعاني: ١٩٩٨، ٣/٣٢١ ولطائف الإشارات(القشيري،٢٠٠٠ ٢/٦٠٤.) وفيه معنى التنبيه على أن تحريمه ما أحل الله له لا ينبغي أن يقع منه وهو المعصوم (ينظر: تفسير مفاتيح الغيب(الرازي،١٩٩٩: ٣٠/ ٥٦٩) " وفي نداءه (صلّى الله عليه وسلّم) بيا أيها النبي في مفتتح العتاب من حسن التلطف به والتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى"(التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤:: ١٤/٣٤٢) وفي تحريم العسل فقد ظن أنه المغاثير كريه الرائحة وهو (صلّى الله عليه وسلّم) يكره الرائحة الكريهة وعرفه بحبه الطيب فنفسه الشريفة يكره أن يشم منه رائحة غير طيبة فنفسه الشريفة تنفر من كل ما فيه عيب ومأخذ فلا يؤذي جليسه . فصعب عليه (صلّى الله عليه وسلّم) أن يجد من حوله رائحة كريهة منه وقد عرف بطيب الرائحة. ولم يقصد النبي (صلّى الله عليه وسلّم)في هذا التحريم أنه حرام والله قد أحله بل كان يقصد أن يمنع نفسه من الاستمتاع بما أحل الله وذلك بدليل قوله تعالى بعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ التحريم [١]

فمجيء هذه الآية تعليل للتحريم على طريق الحال (ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي،١٩٩٢، ١٤/٢٠٥) فمعنى (تبتغي) حال مبتغياً أي لِم تحرم ما أحل الله لك مبتغياً مرضاة أزواجك لاستفهام هنا مجازي خرج إلى معنى الإنكار المتضمن معنى النهي (فعل توجيهي) فقد خاطب الله تعالى رسوله (صلّى الله عليه وسلّم)

خطاب تنبيه: والمعنى لا تحرم ما أُحل لك والنداء بلفظ (النبوة) فيه مزيد من التنبيه على أنه (صلّى الله عليه وسلّم)هو الذي بعث لإيضاح دين الله مبيناً حلاله وحرامه فجاءه النداء هنا معاتبة وتنبيهاً كيف تحرم على نفسك حلالاً لم يحرمه الله مع علمه (صلّى الله عليه وسلّم) فيضيق على نفسه ويشق عليها وقد ختمت هذه الآية بـ "والله غفور رحيم" تسلية وتخفيفاً ولطفا به من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) لما أصابه من أذى ولوم بتحريمه ما أحل الله (ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي١٩٩٧: ٤٦٨/١٤، وتفسير المراغي(المراغي،١٩٦٩ ٢٨/ ١٥٧ والتحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٢٨/ ٣٤٦).

في هذه الآية فعل توجيهي الغرض الانجازي منه هو نهي النبي (صلّى الله عليه وسلّم) عن تحريم ما أحل الله له . ويكمن الغرض التأثري في هذا الفعل الإنجازي هو أن يترك الإنسان التشدد وأن لا يضيق على نفسه ما أحل الله له ساعيا لإرضاء أحد من البشر. وفيه أيضا دعوة إلى النساء أن يتقين الله في أزواجهن وأن يحسن المعاملة فلا يكثرن المراء فيحصل الملل والكرهية مؤديًا ذلك إلى تفكك رابطة الأسرة بالفراق وفيه أيضا إشارة إلى الحرص على حفظ السر وعدم إفشائه وأن يبتغي الإنسان رضا ربه في كل أمر من أمور حياته وأن يترك رضا الناس .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ الطلاق [١]

(نداء التوجيه والإرشاد) في هذه الآية خطاب عين والمراد به الكل خص بهذا النداء النبي (صلّى الله عليه وسلّم) وما تضمنه الخطاب من توجيه شامل لأمته جميعًا فأمر الله نبه (صلّى الله عليه وسلّم) هو أمر لجميع امته (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الطبري،١٩٥٤: ٢٩٨/١٢) "لأن النبي إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، وفيه وجه آخر أن الكلام خاص مع النبي (صلّى الله عليه وسلّم) لكن الحكم عام يشمل أمته جميعهم" (تفسير أنوار التنزيل(البيضاوي، ١٩٩٨: ٥/٢٢٠.)

إظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه، وأنه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وسادًا مسد جميعهم (ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري، ١٩٨٧: ٤/٥٥٢.) وهذا غاية التشريف التعظيم لمقامه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (ينظر: المحرر الوجيز ابن عطية،٥:٢٠٠١ /٣٢٢) في هذه الآية توجيه لبيان أحكام الطلاق وهو ضربان:

الأول: طلاق سُنِي، وهو أن يطلق الرجل امرأته في طهر لم يجامعها فيه، فتكون عدتها واقعة في ذلك الطهر فلا تطول عدتها.

والثاني: بدعي: وهو أن يطلقها وهي حائض أو في طهر وقد جامعها فيه أذى على المرأة(ينظر: زاد المسير(ابن الجوزي، ١٩٨٤:ج٤/٢٩٧)

والأول هو الطلاق الذي جاء التشريع به وهو الطلاق للعدة لتقليل الضرر على المرأة. أما الثاني فيلحق بالمرأة الأذى ويأثم هو بذلك(ينظر: معاني القران (الفراء،١٩٨٣، ١٦٢/٣، والكشاف عن حقائق التنزيل (الزمخشري، ١٩٨٧ ٥٥٢/٤، والتحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٢٩٥/٢٨).

وفيه أيضًا توجيه بأن لا تخرج المرأة من بيتها حتى تنقضي العدة .

وفي قوله تعالى: "واتقوا الله ربكم" فيه تنبيه لمن يعمد إطالة العدة على المرأة بقصد الإضرار بها وإيذائها، فمن يفعل ذلك فهو آثم واجتمع نهيان في سياق واحد: نهي عن إخراجهن من بيوتهم وإن حصل بينهما جفاء أو كره . فلا يحق للرجل أن يزيد الأذى على المرأة بإطالة العدة وإخراجها من البيت ومنعها من الخروج تمادياً واستبداداً واقتران نهي بنهي في سياق واحد فيه التأكيد على ملازمتها مسكن الفراق ولا تخرج منه إلا بإتيانها ما حرم الله وهو الزنا أو تجاوزها على الزوج بقول أو فعل كل هذه التشريعات وضعت لإصلاح المجتمع وحفظه من الضياع وحفظ حقوق المرأة فلا يسمح للرجل بإيذائها بأي نوع من الإيذاء سواء بإطالة العدة أو بإخراجها من مسكنها دون حق عسى أن يكون لرجوعها سبيل وهنا يكمن الغرض التأثيري من هذه التشريعات ومن يتعد حدود الله قاصداً الإيذاء فقط تجاوز على شرعه سواء كان رجل أم امرأة فهو في الحكم سواء فهو ظالم لنفسه باتباع الهوى وابتعاده عما شرع الله ولن يفلت الظالم من الجزاء لقوله (صلّى الله عليه وسلم) إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته(سنن ابن ماجة: باب العقوبات(٤٠١٨)٢/ ١٣٣٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ الممتحنة [١٢]

النداء متضمن معنى التوجيه والإرشاد .

شروط المبايعة: ترك الشرك ترك السرقة الزنا وقتل الأولاد واستقاط الأجنة والافتراء في الحاق النسب، وترك النياحة وشق الجيوب ونتف الشعر عند المصيبة وتخمش الوجوه والدعاء بالويل والثبور والتبرج وأظهار الزينة (ينظر: لطائف الإشارات) القشيري،٣:٢٠٠٠/ ٥٧٤، والتحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٢٨/ ١٦٨). في هذه الآية فعل توجيهي والغرض الإنجازي منه هو مطالبة النساء اللاتي يردن الدخول في الإسلام بأمور عدة فإن تحققت فإن النبي (صلّى

الله عليه وسلّم) وجبت المبايعة أي: إن الله تعالى قد غفر لهن فيعطيهن صفة الإيمان ويكرمن بمغفرة ما كان ويجزين على ذلك الجنة(ينظر: تفسير السمعاني: ٥/ ٤٢٢، و تفسيرالمحرر الوجيز(ابن عطية: ٢٩٩/٥). وتستنبط من هذه الآية أحكام شرعية وجب على النساء المؤمنات الالتزام بها وهنا يكمن الغرض التأثيري فهو ترك صفات الجاهلية النياحة والمبالغة في الجزع عند وقوع المصيبة والرضا بقضاء الله وقدره ومنها أيضا ترك التبرج وأظهار الزينة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ الأحزاب [٥٩]

هذا النداء نداء تشريع وجوب الحجاب في هذه الآية فعل توجيهي أمري الغرض الإنجازي منه هو فرض الحجاب على أزواج النبي (صلّى الله عليه وسلم) وبناته ونساء المؤمنين بصورة عامة فإذا خرجن من بيوتهن لحاجة وجب عليهن أن يتغطين بالجلباب لئلا يتشبهن بالإماء فيتعرضن للإيذاء فيكون الحجاب دليلا تعرف به الحرة ينظر: تفسيرجامع البيان عن تأويل آي القرآن(الطبري،١٩٥٤: ٣٢٤/٢٠) وإن من أسباب الأذى هو كشف المرأة زينتها ومفاتنها فيجعلها ذلك مطمعًا لذوي الأنفس الضعيفة فينالوا منهن بالكلام البذيء والفعل القبيح احتقارًا لهن واستخفافًا فتتأذى المرأة بذلك فالحجاب لهن ستر وحماية ودليل عفة ورفعة به ترتقي وتسمو فلا يصل إليها ضعاف النفوس. وفي قوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) متضمن فعل وعدي الغرض الانجازي منه هو "العفو والصفح عما سبق من الأذى الحرائر قبل تنبيه الناس إلى هذا الأدب الإسلامي والتذيل يقتضي انتهاء الغرض"(التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤:٢٢/ ١٠٧) والغرض التأثير منه هو أن تحرص المرأة على أن تبعد نفسها عن الشبهات وأن تسمو بنفسها عن كل ما يمس مكانتها وهيبتها و يتحقق ذلك باتباعها أوامر الله تعالى والتزامها بهدي النبي (صلّى الله عليه وسلم) وأن الحجاب لها رفع مكانة وعزة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤﴾الأنفال [٦٤]

نزلت هذه الآية لما أسلّم مع النبي (صلّى الله عليه وسلّم) ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلّم سيدنا عمر (رضي الله عنه)وقيل نزلت في الأنصار(ينظر: تفسير القرآن العظيم (لابن ابي حاتم،١٩٩٧،٥/١٧٢٨). في هذه الآية فعل كلامي انجازي غير مباشر يندرج تحت الوعديات ففيه وعد من الله تعالى لنبيه (صلّى الله عليه وسلّم) بأنه كافيه ومتولي أمره وناصره، وفيه فعل كلامي غير مباشر وهو الأمر بمناهضة الأعداء من المشركين ومقاتلهم . وفيه نهي، أن لا يهولهم كثرة عدد المشركين وقلة عددهم فلم يؤمن مع النبي(صلّى الله عليه وسلّم) إلا قليل

وهنا تكمن العناية الإلهية فقد تعهد الله نبيه الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) ومن آمن معه بالكفاية والنصر وأن كثر عدد المشركين وما أعدوا وهذا ما لا يحصل بالأسباب المألوفة المعتادة وهذه الكفاية هي مبعث أمن واطمئنان ومصدر قوة لا تقف أمامها الماديات من كثرة عدد المشركين وعدتهم ويكمن ذلك في التوكل على الله سبحانه وتعالى فمن يتوكل عليه فهو حسبه (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري،١٩٥٤: ١٤/ ٤٨-٤٩) وهذا هو الغرض التأثيري.

"وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للنداء والتنبيه على الاعتناء بمضمونها، وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوّة للإشعار الحكم كأنه قيل يا أيها النبي حسبك الله أي كافيك في جميع أمورك أو فيما بينك وبين الكفرة من الحرب لنبوّتك" (روح المعاني (الآلوسي، ١٩٩٥ ٥/ ٢٢٦) قَالَ تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ الأنفال [٦٥] تكرار النداء هنا (حرض) فعل توجيهي مباشر صادر من ذات العليا إلى نبيه الكريم (صلّى الله عليه وسلم) بقرينة فعل الأمر . الفعل حرض تحريضاً فعَل بمعنى التحضيض والحث على القيام بعمل على وجه التشديد ومن خالفه فقد هلك (ينظر: تهذيب اللغة(الأزهري،٢٠٠١ ٤ / ١٢٠) وقد جاء هذا الخطاب بعد وعد الله تعالى نبيه (صلّى الله عليه وسلّم) بالكفاية والنصر وفيه أيضاً فعل كلامي غير مباشر تضمن معنى النهي عن أن يكترث النبي (صلّى الله عليه وسلّم) والمؤمنون بقلة عددهم فإن يكن منهم مئة يغلبوا ألفاً وقد وعدهم الله تعالى بالنصر والغلبة وجزاء ذلك الصبر هو النصر والغلبة بإذن الله تعالى، وفيه فعل كلامي آخر غير مباشر وهو(الصبر) وهذه الجملة خ خبرية لفظاً انشائية معنى تضمنت معنى الفعل المضارع المقرون بلام الأمر والتقدير ليصبرن الواحد لعشرة فكأن فكان المؤمن بصبره وإيمانه ويقينه بالله يقاتل قتال عشرة (ينظر: روح المعاني(الآلوسي، ١٩٩٥ ٥/٢٢٧). والجملة الشرطية الثانية وإن كان المقصود منها واضحاً بدلالة الجملة الشرطية الأولى إلا أن السر في تكرارها الشرط فيه تأكيد الغلبة متحققة بغض النظر قل عدد الكفار أم كثر فالحال واحد معهما وقد وضح السبب في ذلك في ختام الآية وذلك بقرينة حرف الجر الباء الذي دل على السببية أي بسبب أنهم قوم جهلة بالله واليوم الآخر وههنا مسألة عقدية إيمانية فالمؤمنون موقنون باليوم الآخر والجزاء والحساب فيقاتلون بقلوب مؤمنة محتسبين الأجر محتسبين الأجر عند الله تعالى فكان حقا على الله تعالى نصرهم أما الكفار فلا يؤمنون بالله وباليوم الآخر وقلوبهم قاسية وعلى أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وأضلهم الشيطان فما جزاؤهم إلا القهر والخذلان (ينظر: روح المعاني(الآلوسي، ١٩٩٥ ٥/ ٢٢٧). ففي هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية وعد بنصرهم وفيه توجيه بوجوب ثباتهم ونهي عن

الفرار ومجيء سلب الفقاهة من الكفار في سياق جملة اسمية تتحقق فيها فائدة ثبوت الحكم هذا في كل حال من الأحوال ولم يقتصر على حال الحرب فقط (ينظر: التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٠:١٩٥٤/٦٨)

النّداء الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ الأحزاب [١]

الخطاب له ﷺ المؤمنون لان بهم حاجه الى مواصلة الارشاد ولانه صلّى الله عليه وسلّم كان نقيا من طاعه الكفار كافرين والمنافقين والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الاية واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ويندرج هذا الخطاب خطاب عين والمراد به غيره الخطاب هنا للنبي صلّى الله عليه وسلّم امته لإنه كان نقيا وحاشاه من طاعه الكفار وفيه نفي الشك عنه صلّى الله عليه وسلّم افتتحت الصورة صلّى الله عليه وسلّم من الافعال الكلامية امر بطاعة بالمداومة على طاعه الله وحده واتباع امره نهي عن طاعه الكفار والمنافقين في هذه الصورة كثره التوجيهات والارشادات من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم الى افضل الاحكام واقوم الآداب واهدى السبل فيها امر بالمداومة على التقوى تفخيما لشان التقوى يقول لغيره وهو قائم هنا اي اثبت قائما والثبات عليها يجانبهم ويحترس منهم يا الله واعداء المؤمنين وفيها نهي ان لا يقبل لهم اي مشوره وان لا يطيعهم وهم اهل مكة والمنافقين فيما طلبوا ان الله كان عليما حكيما باريه تعليليه بينت سبب الامر بالتقوى والنهي عن طاعه الكافرين والمنافقين وتعالى بسابق علمه الازلي علم ان النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يميل اليهم استدعاء لهم الى الاسلام ولو كان في ذلك منفعة الله عن ذلك ال عليم بمراد النبي صلّى الله عليه وسلّم حكيم في منعه ونهيه عنهم في هذا السياق امر بتقوى الله ونهى عن اتباع الكافرين الامر كالتوطئة للنهي فجملتا الامر والنهي اشربه معنى القصر اي قصر تقوى النبي صلّى الله عليه وسلّم على الله وحده هذا المفهوم جاء من ترادف معنى لا تطع مع لا تتقي كون المفهوم تتقي الله ومع ان اسلوب القصر فيه قوه معنى وتأكيد اكثر من اي اسلوب بلاغي اخر الا ان الاطناب هنا كان ابلغ لان تقوى النبي الله عليه وسلّم لله علوم في القصر افاده معنى فعدل عن الايجاز الى الاطناب والسبب الاخر ان في ذكر الامر بالتقوى عن طاعه الكافرين والمنافقين فيه ضمنا معنا الاستمرار والمداومة على تقوى الله تحذير مما اضمره الكافرون والمنافقون خبث مؤامرات ايضا فعل لهؤلاء الكافرين والمنافقين بان النبي صلّى الله عليه وسلّم لن يقبل دعوتهم وان تظاهروا بالإسلام والجملة الاسمية التي ختمت بها الآية تعليلا للأمر والنهي لوجوب الامتثال وفيها تسليه له صلّى الله عليه وسلّم لما كان يميل الى استدعائهم للإسلام فالله تعالى بما اضمرت

اضمرته انفسهم فمن اتقى فجزاءه على الله ما هو اهل له سبحانه حكيم في هداية من يشاء واظلال من يشاء

النّداء الثّاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ الأحزاب [٢٨]

في هذا النّداء مع ما فيه من معاني الكرامة والتّشريف لقدره ﷺ، ففيه أيضًا تخصيص بمزايا وأحكام لم تجُز لأحد من المؤمنين؛ ففي هذه الآية فعل إعلانيّ الغرض الإنجازيّ منه هو الإباحة والتّخفيف عن النّبيّ ﷺ بما يجده من أعباء هذه الأمّة؛ فجزاءً له ﷺ أحلّ الله تعالى أصنافًا من النّساء، وهنّ: أزواجه اللواتي آتاهنّ أجورهنّ، وملك اليمين، بنات عمّه، وبنات عمّاته، وبنات خاله اللواتي هاجرن معه، والواهبة، فالتّخصيص هنا توسعة عليه؛ لعلو درجته ومنزلته ﷺ، وآية الإباحة نزلت لتضع حدًّا لمكثري الكلام من المنافقين، وترفع الشّكّ والتّردد عن قلوب المؤمنين بعد أن خاض المنافقون في زواج النّبيّ ﷺ من زينب بنت جحش حليلة متبناه (ينظر: التحرير والتنوير(ابن عاشور، ١٩٥٤: ٦٣/٢٢). وفي هذه الآية امتنان وتذكير بنعمة الله تعالى عليه ﷺ بإباحته حكم من أحكام الزّواج التي لم تجز لغيره من المؤمنين، وهو نكاح الواهبة من دون مهر، وذلك من توسعة الله تعالى له، وهو محرّم على غيره من الناس؛ لانتفاء تحقق شرط المهر والوليّ، ومجيء قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ الأحزاب [٥٠]

هنا اعتراضيّة جاءت لتبطل حكم الجاهليّة وهو إذا وهبت امرأة نفسها لرجل وجب عليه أن يتزوجها؛ فمجيؤها هنا لدفع التوهم في وجوب ذلك، والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى (إن أراد النّبيّ) فيه تفخيم وتعظيم وتكريم لقدر النّبيّ ﷺ، وبيان خصوصية هذا الامر به، وكان الله غفورًا فيما تزوّج قبل النّهي رحيمًا في تحليل ذلك (ينظر: بحر العلوم: السمرقندي، ١٩٩٣، ٦٨/٣). وقد خصّ النّبيّ ﷺ بهذه الإباحة والتّوسعة؛ لأنّه مبرأ من النّقص والظّلم، فلا يحيف بأزواجه وهذه فضيلة له على سائر المؤمنين(ينظر: لطائف الإشارات(القشيري، ٢٠٠٠: ١٦٧/٣)، " وقد اختار الله لرسوله الأولى، واستحبّ له الأطيب الأزكى، كما اختصّه بغيرها من الخصائص، وآثره بما سواها من الأثر" (الكشاف عن حقائق التنزيل (الزمخشري، ١٩٨٧: ٥٥٨/٣.)، وقد حقق هذا المعنى العدول عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: :﴿عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ﴾، ثم الرّجوع إلى الخطاب ﴿ٱ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥﴾ ؛ فكان ذلك إكرامًا لأجل نبوّته عليه الصّلاة والسّلام، وزاد ذلك المعنى أيضًا تكرار لفظة النّبوّة (ينظر: الكشاف

عن حقائق التنزيل (الزمخشري، ٥٥٩/١٩٨٧:٣)، وروح المعاني(الآلوسي، ١٩٩٥: ٢٣٧/١١). فقد أسهم العدول والتّكرار في إكساب النّصّ بلاغة وعمقًا في تحقيق المعنى وتأكيده، والغرض التّاثيريّ من هذا تعظيم جاه النّبيّ ﷺ، وألّا يُنظر إليه على أنّه كسائر المؤمنين، فقد خصّه الله سبحانه وتعالى بمكانة عظيمة ومنزلة عالية، وأحلّ له من أصناف الأزواج ما لم يحل لغيره من المؤمنين (ومن ذلك إلّا يجمعوا بين أكثر من أربع نساء، ولا يتزوّجوا منهنّ إلّا بصداق مسمّى)؛ تشريفًا له وتخفيفًا عنه بما وجده من أعباء نشر الدّعوة، وفيه أيضًا إيناس للمؤمنين جميعهم بعظيم فضل الله ومنّه عليهم بغفرانه ورحمته.

النّداء الثّالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ الأحزاب [٤٥، ٤٦]

نادى الله سبحانه وتعالى نبيّه الكريم ﷺ بأوصاف أودعها فيه؛ للتّنويه بشأنه، فالنّداء هنا فيه معنى التّعظيم والتّشريف لقدره ﷺ، فضلًا عمّا في النّداء من تأنيس للمؤمنين(ينظر: الجامع لأحكام القرآن:(القرطبي، ١٩٦٤ ١٩٩/١٤.)، وفي قوله تعالى:(إنّا أرسلناك) فيها توكيد وتقرير بقرينة (إنّ) المؤكّدة، وفي هذه الآية أعلن الله تعالى لنبيّه ﷺ أنّه تعالى أرسله، وحال الإرسال أنّه شاهدًا على أمّته والأمم السّابقة، ومبشّرًا بالجنّة، ونذيرًا من النّار، وداعيًا إلى شهادتي أن لا إله إلّا الله بإذنه وسراجًا منيرًا يهتدي به من ضلّ عن الهداية، وهذه الأوصاف والأحوال هي ركائز الرّسالة المحمّديّة في أنّه شاهد على الوحدانية في الدنيا، ومن معانيها أنّه شاهد بأحوال الآخرة من الجنّة والنّار والصّراط(ينظر: جامع البيان(الطبري، ١٩٥٤: ٢٨١/٢٠، وتفسير القرآن العظيم(أبي حاتم،:١٩٩٧ ٣١٤٠/٩، وبحر العلوم: ٦٥/٣.)؛ إذ "إن النّبيّ عليه السّلام أُرسل شاهدًا بقوله لا إله إلّا الله ويرغّب في ذلك بالبشارة فإن لم يكفِ ذلك يرهّب بالإنذار، ثم لا يكتفي بقولهم لا إله إلّا الله، بل يدعوهم إلى سبيل الله، كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ النحل [١٢٥]

وقوله: (وسراجًا منيرًا): أي مبرهنًا على ما يقول مظهرًا له بأوضح الحجج، (وسراجًا منيرًا) "جلى الله به ظلمات الشّرك،واهتدى به الضّالّون، كما يجلى ظلام الليل بالسّراج المنير، أو أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر، كما يمدّ بنور السّراج نور الابصار" (الكشاف عن حقائق التنزيل (الزمخشري، ١٩٨٧ ٥٤٧/٣، وينظر: روح المعاني(الآلوسي، ١٩٩٥: ٣٢٣/١١.).

(ومبشّرًا ونذيرًا) قدّم التبشير على الإنذار؛ لشرف المبشرين، ولأنّ النّبيّ ﷺ بُعث ليكون مبشّرًا، فهو الرّحمة فهو الّتي بُعثت للعالمين، وقد أشار

الآلوسي إلى سبب استعمال صيغة (فعيل) في النّذارة دون (مُفعِل) في قوله تعالى (ونذيرًا)؛ "للإيماء إلى تحقيق ما أنذرهم به، حتّى كأنّه قد حلّ بهم وكان المخبر عنه مخبر عن أمر قد وقع" (التحرير والتنوير (ابن عاشور، ١٩٥٤:: ٥٣/٢٢). ويكمن في هذا الاستعمال فعل إنجازيّ الغرض منه التحذير والتّهويل والتّشنيع بمن اتبع نفسه هواها، وضلّ عن طريق الهداية؛ فان له خزي في الدنيا وهوان وعذاب في الآخرة، وهذا الخطاب الإلهي وإن كان خطاب عين فإنّ المراد به المسلمون عامّة، وهو دعوة إلى أمّة سيّدنا محمّد ﷺ ؛ ليكونوا مبشرين مجسّدين الشمائل المحمّديّة في دعوتهم وتعاملهم سائرين بذلك على النّهج المحمّديّ مقتدين بما أوصى به ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) حين أمرهم بالذّهاب إلى اليمن؛ فقال لهما: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**»(صحيح البخاري: ٦٥/٤، باب ما يُكره من التّنازع، والاختلاف في الحرب، ح (٣٠٣٨)

وهنا يكمن الغرض التّاثيريّ .

النّداء الرّابع: نداء التّخيير. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ الأحزاب [٤٩، ٥٠ في هذا النّداء معنى التّوجيه والإرشاد وقد تضمّن فعلًا توجيهيًّا الغرض الانجازيّ منه وهو التخيير، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ بتخيير نسائه بين الله ورسوله والدّار الآخرة، والحياة الدّنيا، ولذلك التخيير سبب، وهو أن نساء النّبيّ ﷺ و(رضي الله عنهن) أخذن يطالبنه بما تريده النّساء من الحلي والثّياب وغير ذلك من متاع الحياه الدنيا، وقد أزعج ذلك النّبيّ ذلك ﷺ، فحلف أن يهجرهنّ شهرًا كاملًا، ولا يظنّ ظانّ أنّ الفقر هو الذي جعل معيشته على الكفاف والزهد بالدّنيا، فالله سبحانه وتعالى عرض عليه متاع الدّنيا وكنوزها، لكنه ﷺ لم تكن له غاية في ذلك؛ فالدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي الغاية والهدف، وقد أبى ﷺ ألّا أن يعيش عيش ورفض متاع الدّنيا وزخرفها، وقد اختار الله والدّار الآخرة ونعيمها الدّائم على الدّنيا ونعيمها الفاني، فما كان يأتيه من غنائم وأموال فهو للمسلمين؛ ولأجل ذلك أمر الله نبيه ﷺ بتخيير نسائه، فأن اخترن الدّنيا وزينتها فلهنّ ذلك، فيطلقهنّ ويعطيهنّ حقوقهنّ وهو متاع المطلّقة، وإن اخترن البقاء معه ﷺ وآثرن الآخرة على الدّنيا ومتاعها الزّائل فاجرهنّ عند الله عظيم، وقد اخترنه (رضي الله عنهن) وجزاءً لهن إكرام الله لهنّ بأن فضّلهنّ على سائر النّساء، وجعلهنّ أمهات للمؤمنين، ونهى النّبيّ ﷺ أن يطلّقهنّ أو أن يستبدل بهنّ ما سواهنّ من النّساء؛ فنلنّ من المكانة العظيمة والشّرف الرّفيع ما لم يؤت أحدًا من نساء العالمين (ينظر: تفسير أبي حاتم: ٣١٢٦/٩، ٣١٢٧، ٣١٢٨، ٣١٢٩، وزاد

المسير في علم التّفسير (ابن الجوزي، ١٩٨٤: ٤٦٠/٣، والتّفسير الوسيط(الطنطاوي،١٩٩٧ : ٢٠٢/١١) وقد وعد الله تعالى المحسنات منهنّ أجرًا عظيمًا، وفي قوله تعالى (تعالين) اسم فعل امر بمعنى أقبلنّ، ومن دلالات الفعل (تعال) أن يتضمّن معنى العلو، ومعنى النّداء(ينظر: مقاييس اللغة(القزويني،١٩٧٩ : ١١٨/٤، مادّة "علو"، والمحكم والمحيط الأعظم(ابن سيده،٢٠٠٠ ٣٥٤/٢.)، ففي استعمال الفعل تصوير إقبالهن على النّبيّ ﷺ وفيه إشعار بعظم مكانة المتكلّم وعلوّها؛ فمن اختارت النّبيّ ﷺ واقبلت عليه نالت المكانة العظيمة، ويكمن الغرض التّأثيريّ من الأفعال الكلامية الواردة في ضرورة إحسان المعاملة بين الرّجل وزوجه، وإن تعذّر استمرار الحياة بينهما فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أي: أن يتقي الله في معاملته، فلا ينسى ما كان بينهما من فضل وألّا يلحق الطّلاق الأذى بالمرأة.

٤.الخاتمة:

تناول هذا البحث دراسة الأفعال الكلامية في آيات النداء الإلهي للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) في ضوء المقاربة التداولية، من خلال تحليل الآيات التي ورد فيها النداء الإلهي للنبي الكريم، والكشف عمّا تتضمنه من وظائف إنجازية ومقاصد دلالية تتحدد في ضوء السياق القرآني. وقد أظهرت الدراسة أن هذه النداءات لا تقتصر على مجرد أسلوب لغوي، بل تمثل بنية خطابية غنية تحمل أبعادًا تداولية وبلاغية متعددة تسهم في توجيه الخطاب القرآني وبناء معانيه.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

١- أن الأفعال التوجيهية كانت الأكثر حضورًا؛ لارتباطها بالأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية، فما ورد منها وإن كان مخصصا باللفظ للنبي(صلى الله عليه وسلم) إلا أن المراد منه توجيه الأمة وإرشادها بما ينظم حياتهم .

٢- النداءات التي وردت للنبي (صلّى الله عليه وسلّم) تؤدي وظائف متعددة، منها: التوجيه، والتعليم، والتشريع، والتنبيه، والتكريم، وهو ما يعكس ثراء الخطاب القرآني وتعدّد مقاصده التداولية.

٣- لم يرد في القرآن الكريم نداء للنبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) من الله تعالى لم تأت باسمه الصريح، بل كل ما ورد كان بصيغة النبوة أو صيغة الرسالة أو صيغ أخرى؛ تكريمًا لمقامه وتشريفًا لجاهه، وفيه تأكيد وحث على وجوب التأدب حين يجيء ذكر اسمه، فلا يذكر اسمه مجردًا من وصف السيادة أو النبوة أو الرسالة . يدل هذا الأسلوب القرآني على ضرورة التأدب مع مقام النبي الكريم، وعدم مناداته باسمه مجردًا كما يُنادى سائر الناس، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

٤- أسهم تحليل آيات النداء الإلهي في ضوء نظرية الأفعال الكلامية في إبراز البعد التداولي

للخطاب القرآني، وإظهار كيف تتكامل الدلالة اللغوية مع المقصد الإنجازي في بناء المعنى داخل النص القرآني.

٥- الأصل في استعمال (يا)هو لنداء البعيد، وقد آثرها الاستعمال القرآني لعلو مقام النبي (صلى الله عليه وسلم) وارتفاع شأنه وبعد شرفه في موضع النداء.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (1997)تفسير القرآن العظيم تحقيق: أسعد محمد الطيب الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1954) .التحرير والتنوير تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي .(1984) . زاد المسير في علم التفسير .بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل .(2000.المحكم والمحيط الأعظم تحقيق: (عبد الحميد هنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (2001) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)تحقيق:(عبد السلام عبد الشافي محمد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأزهري، محمد بن أحم .(2001) تهذيب اللغة تحقيق: (محمد عوض مرعب). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو بكر، محمد العبد .(1998) .استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية .القاهرة: مكتبة الآداب
- الآلوسي، محمود شكري .(1995) .روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو زهرة، محمد .(1987) .زهرة التفاسير . القاهرة: دار الفكر العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (د.ت.) .صحيح البخاري .بيروت: دار ابن كثير.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر .(1998) .أنوار التنزيل وأسرار التأويل .بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الطبري، محمد بن جرير .(1954) .جامع البيان عن تأويل آي القرآن .القاهرة: دار المعارف.
- الطنطاوي، محمد سيد .(1997) .التفسير الوسيط .القاهرة: دار نهضة مصر.
- الزمخشري، محمود بن عمر .(1987) .الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .بيروت: دار الكتاب العربي.
- السمرقندي، نصر بن محمد .(1993) .بحر العلوم .بيروت: دار الكتب العلمية.
- السمعاني، منصور بن محمد .(1997) تفسير السمعاني تحقيق: (ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس). الرياض: دار الوطن.

- الشهري، عبد الهادي بن ظافر .(2004) . استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية . بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الصنعاني، عبد الرزاق .(1998) .تفسير عبد الرزاق تحقيق: (محمود محمد عبده). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفراء، يحيى بن زياد .(1983) .معاني القرآن . بيروت: عالم الكتب.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن .(2000) . لطائف الإشارات .بيروت: دار الكتب العلمية.
- القنوجي، صديق حسن خان .(1992) .فتح البيان في مقاصد القرآن .بيروت: دار المعرفة.
- القيسي، مكي بن أبي طالب .(2008) .الهداية إلى بلوغ النهاية .الشارقة: جامعة الشارقة.
- القرطبي، محمد بن أحمد .(1964) .الجامع لأحكام القرآن .القاهرة: دار الكتب المصرية.
- القزويني (ابن فارس)، أحمد بن فارس . .(1979)مقاييس اللغة .بيروت: دار الفكر.
- المراغي، أحمد مصطفى .(1969) .تفسير المراغي .القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.
- النسفي، عبد الله بن أحمد .(1998) .مدارك التنزيل وحقائق التأويل .بيروت: دار الكلم الطيب.
- النيسابوري، نظام الدين .(1996) .غرائب القرآن ورغائب الفرقان .بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفارسي، أبو علي .(1992) .كتاب الأغفال . دمشق: دار القلم.
- نحلة، محمود أحمد .(2002) .آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- بوقرة، نعمان .(2008) .التداولية اليوم علم جديد في التواصل .عمّان: عالم الكتب الحديث.
- الحباشة، حمادي .(2008) .التداولية بين اللسانيات والفلسفة .بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر
- دروزة، محمد عزت .(1961) .التفسير الحديث . القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- سعيد حوّى .(1993) .الأساس في التفسير . القاهرة: دار السلام.
- سيرل، جون .(2009) .العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي .ترجمة: سعيد الغانمي. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صحراوي، مسعود .(2005) .التداولية عند العلماء العرب .بيروت: دار الطليعة.
- فضل، صلاح .(1992) .بلاغة الخطاب وعلم النص .القاهرة: دار الشروق.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد. (د.ت.) .سنن ابن ماجه .بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

Preferencse

- Ibn Abi Hatim, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Idris (1997). Tafsir al-Qur'an al-'Azim (The Great Commentary on the Qur'an). Edited by As'ad Muhammad al-Tayyib. Riyadh: Nizar Mustafa al-Baz Library.

- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (1954). Al-Tahrir wa al-Tanwir (The Liberation and Enlightenment). Tunis: Tunisian Publishing House.
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali (1984). Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir (Provisions for the Journey in the Science of Exegesis). Beirut: Al-Maktab al-Islami.
- Ibn Sidah, Ali ibn Ismail (2000). Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam, edited by Abd al-Hamid Hindawi. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Ibn Atiyyah, Abd al-Haqq ibn Ghalib (2001). Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz, edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
- Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad (2001). Tahdhib al-Lughah, edited by Muhammad Awad Murab. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Abu Bakr, Muhammad al-Abd. (1998). Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach. Cairo: Maktabat al-Adab.
- Al-Alusi, Mahmoud Shukri. (1995). Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Abu Zahra, Muhammad. (1987). Zahrat al-Tafasir. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.
- Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. (n.d.). Sahih al-Bukhari. Beirut: Dar Ibn Kathir.
- Al-Baydawi, Abdullah ibn Umar. (1998). Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (1954). Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an. Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Al-Tantawi, Muhammad Sayyid. (1997). Al-Tafsir al-Wasit. Cairo: Dar Nahdat Misr.
- Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar. (1987). Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Al-Samarqandi, Nasr ibn Muhammad. (1993). Bahr al-'Ulum. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Sam'ani, Mansur ibn Muhammad (1997). Al-Sam'ani's Commentary, edited by Yasser ibn Ibrahim and Ghunaim ibn Abbas. Riyadh: Dar al-Watan.
- Al-Shahri, Abdul-Hadi ibn Thafir. (2004). Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach. Beirut: Dar al-Kitab al-Jadeed al-Muttahida.
- Al-San'ani, Abdul-Razzaq. (1998). Abdul-Razzaq's Commentary, edited by Mahmoud Muhammad Abduh. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Farra, Yahya ibn Ziyad. (1983). Meanings of the Qur'an. Beirut: Alam al-Kutub.
- Al-Qushayri, Abd al-Karim ibn Hawazin. (2000). Subtle Indications. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
- Al-Qanuji, Siddiq Hasan Khan. (1992). The Clear Explanation of the Objectives of the Qur'an. Beirut: Dar al-Ma'rifa.
- Al-Qaysi, Makki ibn Abi Talib. (2008). Guidance to Reaching the End. Sharjah: University of Sharjah.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. (1964). The Comprehensive Commentary on the Rulings of the Qur'an. Cairo: Egyptian National Library.
- Al-Qazwini (Ibn Faris), Ahmad ibn Faris. (1979). The Standards of Language. Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Maraghi, Ahmad Mustafa. (1969). Tafsir al-Maraghi. Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi.
- Al-Nasafi, Abdullah ibn Ahmad. (1998). Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil. Beirut: Dar al-Kalim al-Tayyib.

- Al-Nisaburi, Nizam al-Din. (1996). Ghara'ib al-Qur'an wa Ragha'ib al-Furqan. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Farsi, Abu Ali. (1992). Kitab al-Aghfal. Damascus: Dar al-Qalam.
- Nahla, Mahmoud Ahmed. (2002). Afaq Jadida fi al-Bahth al-Lughawi al-Mu'asir. Alexandria: Dar al-Ma'rifa al-Jami'iyya.
- Bouqra, Na'man. (2008). Al-Tadawuliyya al-Yawm 'Ilm Jadid fi al-Tawasul. Amman: Alam al-Kutub al-Hadith.
- Al-Habasha, Hammadi. (2008). Pragmatics between Linguistics and Philosophy. Beirut: Dar al-Tali'a for Printing and Publishing.
- Darwaza, Muhammad Izzat. (1961). Modern Interpretation. Cairo: Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyya.
- Sa'id Hawwa. (1993). The Foundation of Interpretation. Cairo: Dar al-Salam.
- Searle, John. (2009). Mind, Language, and Society: Philosophy in the Real World. Translated by Saeed Al-Ghanmi. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida.
- Sahrawi, Masoud. (2005). Pragmatics among Arab Scholars. Beirut: Dar Al-Tali'a.
- Fadl, Salah. (1992). The Rhetoric of Discourse and Text Linguistics. Cairo: Dar Al-Shorouk.
- Ibn Majah, Muhammad ibn Yazid. (n.d.). Sunan Ibn Majah. Beirut: Dar Ihya' Al-K